نهاية بحـــار

« قصة من واقع الحياة فى الكويت »

كنا فى « حديث الصباح » وكان النقاش يدور حول البحار الكويتى ، وما امتاز به من جرأة ونشاط ومثابرة على العمل ، وتطرق الحديث إلى ضرورة وجود قوانين تؤمن للبحار الكويتى مستقبله وتحفظ له حقوقه ، فذكرنى هذا النقاش بقصة واقعية حدثنى بها أحد أصحابى ، فرأيت أن أقدمها للقراء على سبيل المثال :

قال صاحبى :

كان « أبو حمود » شابا قوى البنية ، فارع الطول ، مفتول العضلات ، يتيه على أقرانه — وحق له أن يتيه — بهذه النعمة التى أسبغها الله عليه ، والتى أصبحت مضرب المثل ، وحديث الناس ، فأنت لا تكاد تلمح أحد « الدواوين » التى تعتبر ندوة « للنواخذة » إلا ويتطرق إلى سمعك ذكر « أبى حمود » وما امتاز به من قوة وجلد ومثابرة على العمل ولا تكاد تدخل إحدى المقاهى المفضلة عند البحارة إلا وتجدهم يتندرون بأعماله وشدته ... لذلك لم يكن غريباً أن تجد الربابنة « النواخذة » يتسابقون إلى التعاقد معه والعمل على ضمه إلى بحارتهم ، بإغرائهم له بالمال تارة وبزيادة حصصه تارة أخرى ، حتى أصبح يتقاضى ضعف ما يتقاضاه أى بحار من أقرانه .

ولم تمض على « أبى حمود » فترة من الزمن حتى وصل إلى أرقى منصب فى السفينة وهو « المجدمى » وأخذ المال يتدفق عليه من جميع الجهات ، وأخذ أصحاب السفن يتسابقون إلى ضمه إليهم كما يتسابق التجار إلى اقتناء بضاعة سهلة التصريف ، كثيرة الربح !...

هكذا كانت حاله فى تقدم مضطرد ، بل هكذا كان سعره — بتعبير أصح — يرتفع من حسن إلى أحسن ، وهكذا أخذ الحظ يمشى فى ركابه ، حتى أصبح فى حالة يحسده عليها الكثيرون ...

وعاش صاحبنا ردحاً من الزمن ينتزع كلمات الإعجاب من أفواه أصحابه انتزاعا ، لما يقوم به من أعمال باهرة فى مجال عمله ، ولما يتصف به من صفاة نادرة فى مهنته ، فهو كما يقول أحد « النواخذة » عنه شعلة من النار ، لا يكاد الربان يلقى بأمر حتى تجده أول الملبين ، يواجه الأخطار دون خوف أو مبالاة ، تراه فى أسوأ الأجواء يتسلق السارية دون ماوسيلة أو واسطة ، أو كما يقول البحارة فى اصطلاحهم « صفق » ... كما إن الإنسان نادراً ما يراه جالساً بدون عمل ، فهو فى أوقات فراغه تراه يتنقل فى أنحاء السفينة يتفقد الناقص فيكمله ، أو التالف فيصلحه ، حتى إنه ليقوم بحلاقة إخوانه حينما يكونون فى عرض البحر

ودارت عجلة الزمان وقلب الحظ « لأبى حمود » ظهر المجن ، والزمان غدار لا يعطى إلا ليأخذ ، ولا يسعد إلا ليشقى ولا يرفع إلى السماكين إلا لينزل إلى الحضيض .

فى إحدى الليالى المظلمة المتلبدة بالغيوم ، هبت عاصفة هوجاء ، هاج البحر من جرائها ، وقامت بينه وبين السفينة معركة ضروس طاحنة ، استعمل فيها البحر أمواجه من العيار الثقيل التى لا تبقى ولا تذر ...

وفى هذا الخضم المتلاطم كادت العاصفة تودى بالسفينة التى كانت مسافرة إلى بومبى ... فاندفع الهواء فى شراعها بقوة وعنف ، وكان لزاما أن ينزل بسرعة وإلا تعرضت السفينة لغرق محقق ، وكانت مجازفة من ذلك الشاب الجرىء حين انطلق كالسهم إلى أعلى السارية ليقطع الحبل الذى يشبك الشراع فيها ، ونجت السفينة وركابها ، بعد أن كان الغرق أقرب إليهم من حبل الوريد . ولكن الشاب الذى خاطر بحياته فى سبيل سفينته وإخوانه لم يعد إلى ظهر السفينة ، كما اعتاد إخوانه أن يروه ، بوساطة الحبل أو السارية ، ولكنه عاد عن طريق الهواء حيث قذفته العاصفة من ذلك الارتفاع الشاهق ، فانكسرت ساقه ...

وفى الصباح هدأت العاصفة وعاد كل شىء إلى طبيعته

وأجريت لأبى حمود الإسعافات الأولية التى اعتاد البحارة أن يتخذوها فى مثل هذه الحالات ...

إلى هنا والقصة عادية ، إذ ليس بمستغرب أن يفقد البحار ساقه أو ذراعه ، وفى بعض الأحيان حياته ، ولكن الغريب أن البحارة طلبوا من الربان أن يرسو بهم فى أقرب ميناء ليتسنى لهم علاج صاحبهم فى أحد المستشفيات ، ولكن الربان رفض أن يضيع وقته فى ميناء ليس له فيه أى فائدة ! — ويحق له أن يرفض لأنه لا يوجد قانون يعاقب مثل هذا الرجل على مثل هذه الفعلة — واستمرت السفينة فى طريقها إلى بومبي ...

وصلت السفينة بعد عشرة أيام ، وأنزل البحار إلى أحد المستشفيات . وقرر الطبيب بعد فحصه أن لا فائدة من علاج الرجل الكسيرة ، فقطعت نتيجة لتصرف الربان الذى آثر الربح المادى على مستقبل بحاره .

ورجعت السفينة إلى الكويت فعاش أبو حمود عيش الكفاف ينفق مما جمعه فى هذه المدة الطويلة حتى أتى عليه ، وعندما نفد ما فى جعبته اضطر إلى التماس المعونة من ربانه الذى كان سبباً فيما أصابه ، ولكن الربان الشهم رده معتذراً بقلة المال ورداءة المحصول ! . وهو الذى كان بالأمس يغدق عليه المال دون ماحساب أو عد ، والذى كان يبدى له من شهور مضت ألواناً من العطف والتزلف والمجاملة ...

احتجب المسكين فى بيته شهراً أو مايقاربه ثم مات ، لا لعلة فى جسده بل كمداً وقهراً ، وكلنا يعلم تمام العلم أن البحار الكويتى يفضل الموت على أن يعيش عالة على غيره ، بل قد يستنكر على نفسه أن يكسب عيشه من طريق غير طريق البحر ...

... وأظن أن القارىء العزيز ، يوافقنى بعد قراءة هذه القصة الواقعية على ضرورة الاهتمام بحالة البحار الكويتى والعمل على وضع قانون للتأمين على مستقبله وحياته ، واجبار أصحاب السفن على دفع تعويض أو مكافأة فى مثل هذه الحالات ، أسوة بجميع قوانين البحر المتبعة فى الأمم المتمدينة لئلا تتكرر مثل هذه المأساة ؟

جاسم عبد العزيز القطامى

التائهون فى الحياة

ليست مقومات الحياة حدودها المادية ، ولا تقاليدها الجافة ، ولا مظاهرها البراقة ، ولكنها مثلها السامية وأهدافها العالية . . . تلك المثل التى من أجلها نحيا وبها تمتزج أرواحنا ويتكيف سلوكنا ، فنشعر أننا نعيش لغاية تستحق أن نجهد فى سبيلها وأن نضحى وأن نشقى ، وهذا الجهد وهذه التضحية وهذا الشقاء ، هو السر الذى يطهر نفوسنا ، فيجعلنا ندرك أننا لم نخلق عبثاً ، لأن هناك رسالة يجب أن نحققها قبل أن تطوينا الآجال وتعفى علينا الأيام ..

هؤلاء هم المبصرون الذين يسيرون لغاية .. وإلى جانبهم قوم يخبطون فى بيداء الحياة خبط عشواء ، تستهويهم كل ضجة ، وتخطف أبصارهم كل بارقة ، فتراهم يركضون حتى يجهدوا فإذا بهم فى أول الطريق الذى بدأوا منه ، لأن غايات الحياة ليست واضحة أمام عيونهم أو لأن الغايات التى أمامهم أتفه من أن يستحقوا الحياة بين الناس من أجلها ...

هل تريد أن تعرف هؤلاء بعلامات فلا تخطئهم ؟ إنهم ألسنة طويلة لا تصمد أمام الحجة ، وحماسة دافقة لمعتقدها عند الأزمة ، وتمسك بالقشور ، واعتداد بالتوافه ، وعيش على أعراض الناس ، وأحياناً أموالهم !

يا أصحاب البصائر : ليس المهم أن تجهدوا أنفسكم فى الركض ، ولكن المهم أن تدركوا أنكم تركضون إلى غاية ؟

الكويت

ت